

الإعجاز البياني وأثره في تدرج الخطاب المكي والمدني في سورتي (العلق-ال عمران) انموذجا

جنان خليل ابراهيم الزوبعي

أ.م.د حسام عواد خليفه القيسي

جامعة الأنبار- كلية التربية للبنات- قسم علوم القرآن

jn24w3001@uoanbar.edu.iq

pe.dr.husam_awad@uoanbar.edu.iq

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع الإعجاز البياني في الخطاب المكي والمدني وعلاقته بـ التدرج في التنزيل، من خلال دراسة تطبيقية تسعى إلى الكشف عن الأبعاد البيانية والتشريعية التي أسهمت في بناء الخطاب القرآني في مرحلته المكية والمدنية. ويهدف البحث إلى بيان مفهوم الإعجاز البياني، واستعراض أبرز أقوال العلماء فيه، مع إبراز دوره في تحقيق التدرج في عرض القضايا العقديّة والنفسية والتشريعية، مع التركيز على عنصر التحدي بوصفه أحد المحركات الرئيسة لهذا التدرج في التنزيل المرحلي. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التأصيلي والتطبيقي، حيث تناول مبحثين: الأول: الإطار المفاهيمي للعنوان، وركز فيه على ثلاثة مطالب مبيناً مفهوم الإعجاز البياني ومعنى التدرج، والتحدي هو السبب الخفي للتدرج في التنزيل المرحلي. وبيان أبعاده في الخطاب المكي والمدني مع عرض أقوال العلماء وتحليلها. بينما خصص المبحث الثاني: دراسة نماذج تطبيقية من السور المكية والمدنية تُبرز مظاهر التدرج في الإعجاز البياني واعتمدت سورتين من القرآن الكريم أحدهما تخص الخطاب المكي وهي (سورة العلق) والثانية تخص الخطاب المدني وهي سورة (ال عمران)، وكيفية توظيف الأساليب البلاغية في ترسيخ العقيدة وبناء المجتمع وبناء الوعي الإيماني لدى المخاطبين، وترسيخ الأحكام. وخلص البحث إلى أن الإعجاز البياني في الخطاب المكي والمدني من حيث التطبيق لنماذج السور القرآنية لم يكن مجرد ظاهرة أسلوبية، بل جزءاً من بناء منهجي قائم على التدرج، يراعي حال المخاطبين، ويعتمد التحدي وسيلة لإثارة الانتباه وتحريك القناعة، مما يكشف عن عمق الترابط بين البيان القرآني وأهدافه التربوية والعقدية والتشريعية في المرحلة المكية والمدنية.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز - البياني - الخطاب المكي - المدني - تأصيل - تطبيق

Abstract (Concise Version)

This study examines rhetorical inimitability in the Meccan and Medinan discourse and its relationship to gradual revelation. It aims to clarify the concept of rhetorical inimitability, review major scholarly perspectives, and highlight its role in the gradual presentation of doctrinal, psychological, and legislative themes, with particular emphasis on the element of challenge as a key driving force. The study adopts a descriptive and applied approach, divided into two sections: a conceptual framework defining inimitability and gradualism, and an analytical section presenting applied models from Surah Al-‘Alaq (Meccan) and Surah Aal ‘Imran (Medinan). It explores how rhetorical techniques contribute to the establishment of belief, societal formation, and the reinforcement of legal rulings. The study concludes that rhetorical inimitability is not merely a stylistic feature, but part of a structured, gradual methodology that considers the audience’s context and employs challenge to stimulate awareness and conviction, reflecting the deep connection between Qur’anic rhetoric and its educational, doctrinal, and legislative objectives. Rhetorical Inimitability; Gradual Revelation; Meccan–Medinan Discourse; Qur’anic Challenge; Rhetorical Analysis

المقدمة...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام الميامين. يُعتبر الخطاب المكي من أبرز مظاهر الإعجاز القرآني، لما يتميز به من بلاغة فريدة وبعُد تربوي ونفسي في مخاطبة الإنسان. ويأتي هذا البحث بعنوان (الإعجاز البياني وأثره في تدرج الخطاب المكي والمدني وأثره في التدرج في سورتي (العلق-ال عمران) انموذجا) ليبرز دور الإعجاز البياني في بناء الخطاب المكي

والمدني، مع التركيز على التدرج الذي يسهم في ترسيخ المفاهيم العقدية لدى المخاطب، وبهيئته نفسياً لتلقي الرسالة الإلهية بأسلوب متدرج ومؤثر. ولأعطاء فكرة متكاملة يمكن بيان الآتي:

أولاً: أهمية البحث

تكمن في تسليط الضوء على العلاقة بين الإعجاز البياني والتدرج في الخطاب المكي والمدني وهي زاوية لم تحظ بالاهتمام الكافي في الدراسات المصغرة. إذ إن دراسة هذا الجانب تكشف عن الأساليب البلاغية والنفسية والتربوية التي اعتمدها القرآن الكريم في مخاطبة البشر، وتبين كيف ارتبطت لغة البيان القرآني بأهداف التوجيه العقدي والتربوي والتشريعي.

ثانياً: سبب اختيار العنوان

وقد جاء اختيار هذا الموضوع رغبة منا في تقديم قراءة متكاملة تجمع بين الجانب التأصيلي النظري - الذي يشمل مفهوم الإعجاز البياني وأقوال العلماء فيه - والجانب التطبيقي، من خلال دراسة نموذجين أحدهما من السور المكية والثاني من السور المدنية، لبيان مظاهر التدرج في الخطاب وأثرها في توجيه الفكر والعاطفة لدى المخاطب.

ثالثاً: المنهج المتبع في هذا البحث

هو المنهج الوصفي التأصيلي والتطبيقي، حيث تمّ في المطلب الأول عرض مفهوم الإعجاز البياني وبيان أبعاده في الخطاب المكي والمدني، وفي المطلب الثاني استعراض أقوال العلماء في الإعجاز البياني وتحليلها، بينما ركز المطلب الثالث على التحدي بوصفه أحد المحركات الرئيسة للتدرج في التنزيل المرهلي، وأخيراً خصص المبحث الثاني: لدراسة نماذج تطبيقية اعتمدت فيه سورة من المكي والمدني وهي (العلق وال عمران) لإبراز مظاهر التدرج في الإعجاز البياني على الخطاب المكي والمدني وأثره على نفوس المخاطبين. وتتبع خاتمة المقدمة التمهيدية من أهمية الربط بين الجانب النظري والتطبيقي في البحث، حيث يسعى إلى تقديم فهم معمق للخطاب المكي والمدني، ليس فقط من زاوية البلاغة والإعجاز، بل أيضاً من منظور تربوي ونفسي وتشريعي، مما يسهم في تعزيز الدراسات القرآنية التطبيقية ويقدم نموذجاً لإبراز الروابط بين النص القرآني ومخرجاته العملية في بناء الفكر والوعي. الذي أسأل الله تعالى أن يوفقنا لكل خير نافع. **وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.**

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للعنوان

المطلب الأول: تعريف الأعجاز البياني والتدرج.

أولاً: تعريف الأعجاز لغة واصطلاحاً

أما معنى الأعجاز لغة: وقد جاء بمعاني عدة^(١) ولكن الذي يهمنا في هذا الموطن، وهنا جاء العجز ما يدل على الضعف والهوان، فالأعجاز والمعجزة من مصدر "عَجَزَ: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجزُ نقيض الحزم. وعَجَزَ يَعْجُزُ عَجْزاً فهو عاجزٌ ضعيفٌ"^(٢). وجاء بمعنى الأعجاز بتعريف أدق وهو: "ما أعجز به الخصم عند التحدي وهو كما يقال عجز فلان رأي فلان، إذا نسبه إلى العجز"^(٣).

أما الأعجاز البياني اصطلاحاً:

فقد عرف الأعجاز على إنه: "أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته"^(٤). وعرف الأعجاز أيضاً صاحب كتاب الكليات مشيراً إلى الأعجاز البياني فقال: "الكلام أن يؤدي المعنى بطريق أبلغ من كل ما عداه من الطرق"^(٥). وأضاف كثير من العلماء المعاصرين أن الأعجاز بعرفه كان لا يعرف إلا عن ما جاء به من الترتيب من اللفظ البياني؛ لأن قريش كان اهتمامهم بالمادة البيانية في ذلك الوقت أكثر من غيرها من التحديات الأخرى التي ظهرت في العصر الحاضر، وبينوا أن الأعجاز في بداية التحدي كان لا يعرف إلا بالتحدي البياني فإن إعجاز القرآن يقصد به هو "إعجاز القرآن للناس أن يأتوا بمثله أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإثبات بمثله"^(٦) وبهذا يمكن أن نستخلص تعريفاً مركباً بين الأعجاز والبيان، وباشتراكهما أي الأعجاز البياني، والإعجاز البياني للقرآن يتمثل في الدقة في اختيار كلمات القرآن الكريم، وترتيبها بصور بديعة، حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها. وبعبارة أخرى، التنزيل المفرق للقرآن لم يكن عائقاً أمام وحدته وتماسكه، بل كان وسيلة لتحقيق الإعجاز البياني والتشريعي، حيث تم ترتيب الآيات والسور بطريقة تعكس وحدة الرسالة الإلهية، وتؤكد على إعجاز القرآن في بيانه وشرعه^(٧).

ثانياً: تعريف التدرج لغة واصطلاحاً.

أما تعريفه لغة: وقد حدد أهل اللغة في معاجمهم بأن التدرج من مصدر (درَجَ)، وقد يأتي بمعاني كثيرة ومن أهمها

- ١- ما نص عليه الخليل فيبين في معجمه بأن التدرج هو يراد به المنزلة الرفيعة فقال: "درج: الدَرَجُ: جماعة عتب الدَّرَجَة. والدَّرَجَةُ في الرِّفْعَة والمنزلة، وتجمع الدَّرَج، ودَرَجَاتُ الجنان: منازلُ أرفع من منازل" (٨).
- ٢- وقد بين معنى التدرج أن يأتي بمعنى الانطواء والإنقراض: "يقال: درَجَ القومُ، إذا انقضوا... دَرَجَ الرجلُ، إذا لم يُخَلِّفْ نسلًا، ودَرَجَتِ الناقةُ وأدْرَجَتْ، إذا جازت السنة ولم تُنْتَجْ، فهي مُدْرَجٌ إذا كانت تلك عادتُها. وأدْرَجْتُ الكتابَ: طويته" (٩).
- ٣- وقد أفاد ابن فارس في معجمه اللغوي عن مصدر التدرج وأصل حروفه الأصلية فقال: "(دَرَج) الدَّالُّ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدَلُّ عَلَى مُضِيِّ الشَّيْءِ وَالْمُضِيِّ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ دَرَجَ الشَّيْءُ، إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ" (١٠).
- ٤- قال ابن منظور تدرج في الأمر أي مضى فيه شيئاً بعد شيء، وتقدم فيه على مهل (١١).
- ومن خلال الأطلاع ثبت لنا بأن معنى التدرج؛ هو الانتقال من مرحلة إلى أخرى على سبيل الترتيب والتتابع بدون طفره واسعة أو أهام شيء في دفعة واحدة، أو إنه التحول التدريجي في الأحكام أو الأوامر أو الأحداث حسب السياق القرآني المستفاد منه في القضية (١٢)..
- أما تعريف التدرج اصطلاحاً:** وقد عرف التدرج بتعاريف عديدة من أهمها ما يأتي:
- ١- عرف على إنه: هو "المضي والإرتقاء بحكم آخر فيه رعاية لمصالح العباد في العاجل والآجل" (١٣).
- ٢- عرف التدرج من خلال اقوال المفسرين على إنه مراعاة قدرة الناس: يتم تقديم الأحكام والتشريعات بشكل يتناسب مع قدرة الناس على الاستيعاب والامتثال، بحيث لا يتم تحميلهم ما لا يطيقون (١٤).
- ٣- وعرفه الأوسى في تفسيره، وبين أن التدرج بمعنى التجدد لتأهيل الناس تدريجياً للأحكام والتشريعات الجديدة، بحيث يتمكنون من استيعابها وتطبيقها بشكل صحيح (١٥).
- ٤- ويعبر الزرقاني في معنى التدرج بأنه من أبرز خصائص الوحي القرآني؛ إذ كان ينزل وقت تقتضيه الحكمة من تربية النفوس، وفي تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً (١٦) وخلاصة القول: هو نزول الوحي الإلهي على النبي محمد كان وقت متطلبات الأمة الإسلامية، ومراعاة الأمم السابقة بشكل لين ومتدرج لتحقيق مقاصد التربية والتشريع والتنشيط (١٧). أو يمكن القول بأن التدرج هو مقارب لما فسره أهل اللغة بإعادة صياغة يستفاد منها في تعريف الأصلاح وجماعه هو: "التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وفوق طرق مشروعة مخصوصة" (١٨) ولا بد من التنبيه على إن جميع التعاريف على اختلاف ألفاظها، فأنها تريد أن تبين على أن الحكمة من التدرج هو "تأهيل التدريجي يتم المرونة في التطبيق يتم تطبيق الأحكام والتشريعات بشكل مرن، بحيث يتم مراعاة الظروف والملابسات المختلفة. فإنه سبحانه بدأ في إنزال أوضاع الشريعة بالضروري الذي لا تصلح الأمة بدونه، ولا تخرج من ظلمة الجاهلية بغيره؛ فشرع لها بمكة ما يكفل ذلك، ثم لما صلب عودها، وبلغت أشدها، واستعدت العقول لما يكمل ذلك من الأوضاع الشرعية؛ شرع لها بالمدينة ما أكمل به الدين وأتم به النعمة، ولولا ذلك التدرج؛ لنأت الأمة بالتكاليف، وشرد عن قبولها كثير" (١٩).
- المطلب الثاني: أقوال العلماء في الأعجاز البياني.**
- إن من أبرز ما يميز القرآن الكريم هو الصبغة البيانية التي تظهر عليه من الفصاحة والبيان ودقة المعاني، وانسجام الألفاظ في مبانيتها وتماسكها وهذا النسيج البياني كون اسلوباً عظيماً في اللفظ والجودة في المعنى بحيث ألفاظه الكريمة تنساب بعذوبتها إلى القلوب وتغذيها بحث ألفاظه تستحکم وتستولي على مشاعر السامعين (٢٠). وقد جاءت أقوال العلماء في الأعجاز البياني في بيان أهميته من خلال التلوين الفني في الخطاب القرآني الكريم، وهو يُعد فناً من فنون اعجازه، وليبيان أقوال العلماء يمكن بيان أقوالهم في الأعجاز البياني وكان كالاتي:
- القول الأول: أقوال المتقدمين من العلماء في الأعجاز البياني.**
- لقد تطرق الكثير من العلماء المتقدمين في مؤلفاتهم على الأعجاز البياني، وقد أجمع أغلب القدامى بأن الأسلوب اللغوي وعدوه المعجزة الخالدة التي تحدى بها العرب والناس أجمعين، ويمكن نذكر نموذج من المتقدمين ومنهم.
- اولاً: ابو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) (٢١)، وهو من أهم الأعلام البارزين في جانب الأعجاز البياني في القرآن الكريم، ومن أهم مؤلفاته بيان إعجاز القرآن، وقد تناول فيه بيان الأعجاز القرآني الكريم من حيث بلاغة الكتاب الكريم، حتى إنه تناول أقسام الكلام البليغ وجعله على أقسام ثلاثة.
- القسم الأول: الطبقة العالية:** وهو يتمثل بالبليغ الرصين الجزل وهو من أعلى طبقات البلاغة التي نص عليها القرآن الكريم في مضامين الايات القرآنية الكريمة.

القسم الثاني: الطبقة الوسطى، وهذه تعاملها بالنص القرآني الكريم المتمثل بالفصاحة والقرب من قلوب البشر.

القسم الثالث: أقل الطبقات: ويراد بها الجائز الطلق، وبعد أن بين الأقسام قال الخطابي: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل^(٢٢)" وبهذا نجد أن الإمام الخطابي يُعد من المتقدمين الأوائل الذي ركز على الأعجاز البياني اللغوي البلاغي وجعله النص القرآني على ثلاث طبقات، وهو مصدر التحدي في القرآن الكريم، بحيث يخاطب فيه جميع الطبقات البشرية على اختلاف تفاوت الفهم في الخطاب وعلى قدر مستوياتهم فمنه الطبقة العليا والوسطى والأدنى منها، وهو بهذا خاطب جميع الفئات البشرية على قدر عقولهم^(٢٣).

ثانياً: الأمام الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ^(٢٤). واعتبر الإمام الباقلاني رحمه الله- بأن القرآن الكريم معجز إلى يوم القيامة، وأن الله تعالى تحدى البشر بأقصر آية في القرآن الكريم، وأن هذا التحدي قائم إلى ممر العصور فقال في مقدمته لكتابه إعجاز القرآن إن: "تأليف القرآن البديع، ووصفه الغريب، ونظمه العجيب، قد أخذ عليهم منافذ البيان كلها وقطع أطماعهم في معارضته، فظلوا مقموعين مدحورين ثلاثة وعشرين عاماً، يتجرعون مرارة الاخفاق، ويهطعون لقوارع التكبيت، وينغضون رؤوسهم تحت مقارع التحدي والتعيير، مع أنفتهم وعزتهم، واستكمال عدتهم وكثرة خطابهم وشعرائهم، وشيوع البلاغة فيهم، والتهاب قلوبهم بنار عداوته، وترادف الحوافز إلى مناهضته، وعرفانهم أن معارضته بسورة واحدة أو آيات يسيرة أنقض لقوله، وأفعل في إطفاء أمره، وأنجع في تحطيم دعوته، وتفريق الناس عنه من مناجزته، ونصبهم الحرب له، وإخطارهم بأرواحهم وأموالهم، وخروجهم عن أوطانهم وديارهم"^(٢٥). ويمكن أن نستنتج أن الأمام الباقلاني قد بين وجه الأعجاز القرآني البياني في عدة أمور من أهمها:

أ- اعتبر أن القرآن الكريم هو جاء معجزاً للنبي صلى، وهذا التحدي خالد إلى يوم القيامة، والتحدي شامل للجن والأنس.

ب- أن القرآن الكريم معجز في أسلوبه البياني اللغوي والبلاغي، وأنه تحدى العرب وكان هذا التحدي في البياني من جنس ما يألّفون فعجزوا عن معارضته.

ت- واعتبر الباقلاني أن نسبة التحدي القائم إلى يوم الدين هو أقصر سورة في القرآن الكريم^(٢٦).

ثالثاً: الإمام الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ^(٢٧): وهو من الأعلام المتقدمين في الشرح للمادة البيانية البلاغية واللغوية في إعجاز القرآن الكريم، فقد بين أن القرآن الكريم كان معجزاً بنظمه ودقة ألفاظه وقد بين دليل هذا الأعجاز بقوله: "وهي إنّا إذا سُفنا دليل الإعجاز فقلنا: لولا أنهم حين سَمعوا القرآن، وحين تحدوا إلى معارضته، سمعوا كلاماً لم سمعوا قط مثله، وأنهم رازوا أنفسهم فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يُوازيه أو يُدانيه أو يَقَع قريباً منه لكان مُحالاً أن يدَعُوا معارضته وقد تحدوا إليه، وفرعوا فيه، وطُوبوا به، وأن يتعرضوا لَشبا الأسنّة، ويقتحموا موارد الموت"^(٢٨).

ومن خلال الأستنتاج للأمام الجرجاني رحمه الله- نجده أنه اهتم في الأعجاز للقرآن الكريم بنظمه ودقة ألفاظه، وبهذا جاء ألفاظ القرآن الكريم بلوحة جمالية متميزة بالأسلوب وهو ما يعرفه الناس، فإذا وضع بين كلام البشر الشعري أو النثري ويكون حلياً وزينة وجواهر؛ لأنه كلام رب العالمين^(٢٩).

القول الثاني: أقوال المتأخرين المعاصرين في البيان الإعجازي:

وقد تناول العلماء المعاصرين بيان مفهوم الأعجاز البياني في مؤلفاتهم، وكان من بين ما اشتهر منهم ما يأتي:

اولاً: الشيخ عبد الكريم دراز، وهو صاحب كتاب النبا العظيم، فقد تناول فيه المادة البيانية التي تُعد من أهم الأوجه الأعجازية في القرآن الكريم، وبين أن الأوجه الأعجازية في القرآن الكريم أنها تتركز على الوجه البياني اللغوي والبلاغي، والعلمي والاجتماعي، وقد بدأ بالبياني اللغوي والبلاغي وبين الشيخ دراز سبب تقديمه؛ للبياني اللغوي والبلاغي لأنه جاء التحدي بها في بداية أمر الدعوة ونزول القرآن الكريم فقال: "ن الإعجاز القرآني أعني ناحية الإعجاز اللغوي وناحية الإعجاز العلمي وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً في سورة منه ولذلك نبدأ بها"^(٣٠) ومن خلال قراءة الشيخ دراز رحمه الله- ودراسته لهذه النواحي الأعجازية التي صدرت عن الخطاب القرآني الكريم، ويحصرها بالإعجاز البياني اللغوي والبلاغي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي والإصلاحي الاجتماعي، ولكنه يعتبر الشيخ دراز بأن الأعجاز الأول المتمثل بالبياني هو أظهر وجوه الأعجاز، وأنه المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة^(٣١)

ثانياً: الشيخ القلموني (ت ١٣٥٤ هـ): وهو من المفسرين المعاصرين واشتهر كتابه، بتفسير المنار، فهو يبين أن التحدي ليس فيما نص عليه القرآن في عشر آيات وإنما التحدي جاء لأكثر من ناحية وقد بين ذلك من خلال قوله: "والظاهر أن التحدي في سورتي يونس وهود خاص ببعض أنواع الإعجاز، وهو ما يتعلق بالأخبار كقصص الرسل مع أقوامهم وهو من أخبار الغيب الماضية التي لم يكن لمن أنزل عليه القرآن علم بها ولا قومه

كما قال تعالى عقب قصة نوح من سورة هود. ولعل وجه التحدي بعشر سور مفتريات دون سورة واحدة، هو إرادة نوع خاص من أنواع الإعجاز وهو الإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة وإزالة شبهة تخطر بالبال، بل بعض الناس أوردها على الإعجاز بالبلاغة والأسلوب، وهي أن الجملة أو السورة المشتملة على القصة يمكن التعبير عنها في اللغة بعبارات مختلفة تؤدي المعنى، ولا بد أن تكون عبارة منها ينتهي إليها حسن البيان، مع السلامة من كل عيب لفظي أو معنوي يحل بالفهم أو التأثير المطلوب، فمن سبق إلى هذه العبارة أعجز غيره عن الإتيان بمثلها؛ لأن تأليف الكلام في اللغة لا يحتمل ذلك^(٣٢) ومن خلال الأطلاع على أقوال المعاصرين من المختصين في جانب الأعجاز ووجوهه فإن الأعجاز عندهم يتفاوت بينهم وبين المتقدمين، فإن المتقدمين: أعتوا بالجانب البياني المتمثل باللغة والبيان والبلاغة والفصاحة وبهذا قسموا الخطاب القرآني بثلاث طبقات وهي العليا التي تُعد المعجزة الخالدة التي لا يصلها كلام البشر، والوسطى وهي أواسط طبقات الكلام، وطبقة الجائز الطلق. وهي الطبقة الثالثة، وهذه الطبقات متوفرة في أسلوب البلاغة القرآنية وتظهر مجتمعة في القرآن الكريم فلا تنافر أو تناقض وهي مظهر من مظاهر اعجاز القرآن الكريم^(٣٣). أما المعاصرين، فإن التطور الحاصل الذي ميز اعجاز القرآن الكريم بنواحي عديدة أولها: الأعجاز البياني اللغوي البلاغي الذي التحدي الأول الذي جاء في القرآن صراحة، والأعجاز العلمي الذي وافق التطور العلمي كل ما جاء في القرآن الكريم. من نتائج علمية. والجانب الأخير يتمثل بالإعجاز التشريعي والاصطلاحي الاجتماعي^(٣٤).

المطلب الثالث: التحدي هو السبب الخفي للتدرج في التنزيل المرحلي.

كما هو معلوم أن التدرج كان من الصفات العظيمة التي تميز بها القرآن الكريم، واتسمت المرحلة الأولى في تنزيل القرآن بالفصاحة وإعجازه البياني اللغوي والبلاغي، وبهذا أن المرحلة الأولى اتسمت بالتحدي المقرون بالتدرج، فتحداهم في أول النزول من سورة هود بعشر سور قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَنْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣٥) ثم تدرج معهم بالتحدي بأن يأتوا بسورة واحدة من خلال ما جاء في سورة البقرة قال تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣٦) وبهذا نجد أن وجه الدلالة في هذه الآية تدل: "فإن كان المخاطبين شاكين مرتابين في كون القرآن منزلاً منه تعالى فعليهم أن يثبتوا دعواهم بأن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثل سوره في مضامينها واسلوبها وغايتها وارتباطها بسائر الآيات والسور"^(٣٧) وبهذا بين العلماء سمت التدرج الذي جاء بها النص القرآني الكريم الخاص بالأعجاز البياني المتمثل بالفصاحة والبيان ودقة العبارة وقوة الإيقاع على المسامح والقلوب، وقد أشار الشيخ عبدالله الدراز لهذا التدرج الذي اقترن بالتحدي فقال: "انظر كيف تدرج معهم في هذه المرتبة من طلب المماثل إلى طلب شيء مما يماثل كأنه يقول: لا أكلفكم بالمماثلة العامة؛ بل حسبكم أن تأتوا بشيء فيه جنس المماثلة ومطلقها، ربما يكون مثلاً على التقريب لا التحديد. وهذا أقصى ما يمكن من التنزل، ولذا كان هو آخر صيغ التحدي نزولاً، فلم يجئ التحدي بلفظ "من مثله" إلا في سورة البقرة المدنية، وسائر المراتب بلفظ "مثله" في السور التي نزلت قبل ذلك بمكة"^(٣٨) وخلاصة الأعجاز البياني المعبر عنه بالألفاظ المتمثل باللغة والبلاغة والدقة والوضوح والاختصار والتفهم، فإن الخطاب القرآني عند القراءة نجد أنه لم يتميز بهذه الوجه الأعجاز الذي تحدى به البشر والجن، ولكن امتزج مع هذه التحدي الأعجاز البياني التدرج؛ فقد تدرج مع المشركين وهم أصحاب الطبقة العليا من اللغة والبلاغة والفصاحة ودقة العبارة، فإن تدرج معهم في التحدي؛ ليقطع عليهم جميع الطرق بل إنه تدرج معهم من أن يأتوا بعشر سور إلى سورة واحدة بل أصغر سورة بنفس الطراز البياني المترابط، فاختاروا المقارعة والمبارزة على التحدي؛ لأنهم أخفقوا جميعاً، لأنه ليس من كلام البشر بل هو كلام إلهي كريم، والصحيح الذي تطمئن إليه النفس: "أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستقرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطي لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامعة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، كتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"^(٣٩).

البحث الثاني: نفاذ من الدراسة التطبيقية.

تناول هذا المبحث أثر الإعجاز البياني في تدرج الخطاب القرآني بين المرحلتين المكية والمدنية، من خلال اختيار سورتي العلق وآل عمران نموذجاً. فقد تمثل سورة العلق المرحلة المكية بما فيها من تأسيس عقدي وبدائيات الخطاب، في حين تعكس سورة آل عمران المرحلة المدنية بما تحمله من تفصيل وتشريع ومخاطبة لجماعة مستقرة. ويهدف هذا الاختيار إلى إبراز وجوه الإعجاز في تدرج البيان القرآني بحسب تطور الواقع الدعوي، وانتقاله من التأسيس إلى البناء والتكامل.

المطلب الأول: التدرج في سورة العلق.

سورة العلق هي السورة الأولى التي نزلت على النبي محمد ﷺ وآياتها تسع عشرة بالإجماع. وكلماتها ثمان وسبعون. وحروفها مائتان وإحدى وسبعون^(٤٠).. يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية وفقاً لمفهوم التدرج في آياتها، وتمثلت بالآتي:

الموضع الأول: الخطاب المتمثل بالإعجاز البياني: وهو النص الذي بين عظمة اسم الباري جل جلاله، وأنه الخالق، واختصاص المفرد، وتفضيل العلوم التي يدعو القرآن إلى اكتسابها علوم الدين بإنها أجل العلوم، وهذا القسم يضم الآيات الأولى حسب التدقيق فإن القسم يضم خمس آيات دالة على عظمة الأعجاز في القلب وهي تتراوح بين الآيات (١-٥).

وتعليل هذا القسم وما جاء من الأعجاز البياني وأنه جمع في هذه الآيات من عظمة مسماها بما يأتي :

١- عظمة اسم الله تعالى- وهذا ما أشار إليه الإمام الألويسي فقال: "أن اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة الله امره بذلك، لأن ذكر اسم الله قوة له في القراءة وانس بمولاه فان الانس بالاسم يفضى الى الانس بالمسمى والذكر باللسان يؤدي الى الذكر بالجنان والباء فى باسم به تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات فى الدارين والسين كونه سمياً لدعاء الخلق جميعاً والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفى الكواشي دخلت الباء فى اقرأ باسم ربك لتدل على الملازمة"^(٤١).

٢- وجاء الخطاب الإعجاز البياني ، وهو خاص بالنبي محمد ﷺ بدليل ما حُص بخطاب المفرد وهو النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة (اقرأ)، ليبين للناس كافة ويكونوا على بينة من الدين الجديد الذي أمر نبيه بنشره في كافة العالم أحمرهم وأسودهم عامهم وخاصهم فلكل مشمول بدعوته ﷺ، فالأمر بالقراءة بصيغة العموم ليشمل جميع من سيوجه له النبي ﷺ إليهم رسالته^(٤٢).

٣- وأفاد الخطاب القرآني في النص المكي الأول على اهتمام في التعلم والتعليم وهذا ما أشار إليه أهل التفسير بأن الآيات الأولى من تنزيل القرآن الكريم- بينت أن أجل العلوم التي جاء بها القرآن الكريم هي علوم الدين وقد أشار إلى هذا الأهتمام المفسرين حينما بينوا أن الخطاب البياني الأول الذي نزل بمكة خص الأهتمام بالتعلم والتعليم فأشار إليها الباحثين وأشاروا في بيانهم لسورة العلق، وهو إن الآيات الخمس الأولى منها هي بحق كانت موضع عناية المفسرين وغيرهم منها "إن أجل العلوم التي يدعو القرآن إلى اكتسابها علوم الدين، لأنها تهدي الإنسان إلى سبيل سعاده في الدارين"^(٤٣)

٤- استكمالاً لما سبق يمكن التنبيه إلى قضيتين مهمتين قد تناولها الخطاب القرآني في بداية الوحي الإلهي وأكد على تنبيهيين أساسيين تمثل بالآتي:

التنبيه الأول: التنبيه الإعجازي الوارد في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾^(٤٤) فهنا يأتي اختيار لفظ العلق تنبيهاً معرفياً عميقاً إلى حقيقة الإنسان المركبة؛ فالعلق لا يعبر عن مرحلة مادية فحسب، بل يذكر الإنسان بأصله الأرضي الضعيف، في مقابل النفخة الروحية السماوية التي بها صار عاقلاً مدركاً. هذا الجمع بين أصل مادي دقيق ونفخة روحية عليا يؤسس لفهم قرآني متدرج لطبيعة الإنسان بوصفه كائناً مركباً من جسد وروح، يتفاعل فيه العقل مع الوجدان، ويحمل مسؤولية المعرفة والاختيار، لا بوصفه مادة صماء ولا روحاً مجردة.^(٤٥)

التنبيه الثاني: المتمثل بالإعجاز المستقبلي في تكرار ﴿اقْرَأْ﴾ فإن تكرار الأمر بالقراءة في أول وحي، مقروناً بالقلم والتعليم، يمثل توجيهاً تأسيسياً لأمة ستبنى رسالتها على المعرفة المدونة لا الشفوية العابرة. فالقلم هنا ليس أداة تعليم فحسب، بل ضمانته لحفظ العلم من الضياع، وإشارة مبكرة إلى أن العقيدة الصحيحة هي المنطلق المنهجي لبناء العلم، وأن الوحي لا يعارض المعرفة بل يؤسس لها. وهذا يُعد إعجازاً استشرافياً في تحويل أمة أمية إلى أمة قراءة وتدوين وحضارة علم^(٤٦). وبهذا نجد القسم الأول من الخطاب المكي تدرج معهم في عرض في الأهتمام، في مسألة التوحيد وهو أن أربابهم جميعاً لا تصلح أن تكون إلهاً يُعبد، ولهذا نجد أن القرآن ابتدأ بأسم الله تعالى وهو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ومن

ثم تدرج الخطاب باختيار الرسول من بينهم وهو محمد ابن عبدالله ﷺ ، وهو رسول الأمة ورسالته عامة ، وأشار إلى أهمية العلم والتعلم؛ لكي يخرجهم من الضلالة إلى النور ، وأن العلم الذي جاء به القرآن الكريم هو سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة^(٤٧) .

الموضع الثاني: المحور الموضوعي: الطغيان وأفاق العودة إلى الله:

وهذا الخطاب المتمثل بالمقطع الثاني من سورة العلق انتقل في أول ما نزل من القرآن الكريم- من سورة العلق، ليبين نقطة مهمتين وهما: الأولى: وهو بيان أخطر داء الذي يصيب الإنسان وهو الطغيان بدليل قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾^(٤٨) ولكن الله تعالى يبين للإنسان الدواء الناجع له بأسلوب بياني متدرج يظهر له الداء وهو الطغيان في تجاوز الحد. والنقطة الثانية: هو الدواء لهذا الداء وهو الرجوع اليه سبحانه، ويبينه بأسلوب بلاغي ببيان السر الإلهي الذي يتخلص منه الإنسان من هذا الداء وينبه عليه، وهو الرجوع إلى الله جل جلاله، وبهذا جاء الخطاب

المكي بأعلى مراتب البلاغة ليوجه العبد على الدوام قال تعالى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾^(٤٩) وهذا الدوام يستلزم الرجوع إلى الله تعالى والافتقار إليه وملازمة ذكر الموت والآخرة، وملازمة الوقوف على حدود الله تعالى والابتعاد عن التعدي^(٥٠) ثم جاء السياق القرآني الكريم، ليبين أهمية الرجوع والمراقبة العبد لربه لكي يتحقق الدفاع الإلهي له قال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۗ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾^(٥١) فان هذا الخطاب لما فيه من قوة بلاغية تبين بأن الله تعالى يتولى الدفاع عن عبده إذا استجمع ثلاثة شروط

وهي: (إذا صلى - وكان على الهدى - وأمر بالتقوى) أي: "إذا كان موصولاً به في قلبه، سائراً على حياته في هداة داعياً غيره إلى تقوى ربه"^(٥٢)

الموضع الثالث: خاتمة الخطاب التعجب والتوبيخ.

وهذه الخاتمة بين فيها من الإعجاز البلاغي وهو التهديد بالأمر الختامي لكل العباد وهو يوم النشور والحشر في يوم القيامة، واستدل الباحثين بقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۗ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۗ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَئِنَّ نَازِعًا نَادِيَهُ ۗ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَأَسْجُدْ ۖ وَاقْتَرِبْ ۗ ﴿١٩﴾﴾^(٥٣) ووجه الدلالة لهذه الآية تدل على وجهين: **الأول:** التهديد الإلهي بالحشر والنشر، والمعنى أنه

تعالى عالم بجميع الموجودات وهو لا يهمل عباده بخله، فهو الخالق العالم الذي يعطي كل ذي حق حقه، فهذه دلالة على العصيان بالتهديد والوعيد لهم، وترغيباً عظيماً للمؤمنين وهم أهل طاعته ورضوانه. **والثاني:** فيما نزلت فأنها نزلت بحق أبي جهل. فكان كل من نهى عن طاعة الله تعالى - فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد^(٥٤). وخلص الأستنتاج لهذه السورة ففي هذا التقسيم يظهر التدرج في آيات السورة، حيث يبدأ بالحديث عن خلق الإنسان وعظمة الله تعالى، ثم ينتقل بالخطاب ليبين بأن هذه الأمة أمة علمية، وديمومتها بالقراءة المقترنة بالكتابة وتدوين العلوم للحفاظ عليها من الضياع، ثم ينتقل إلى تحذير الإنسان من الغرور والكبر، وأخيراً يذكر العقاب التي تنتظر الإنسان الذي يعصي الله تعالى، ويمكن تحديد موضوعها فأنها السورة تُعدّ واضحاً للمشركين، فقد تميزت السورة بمقاصد ومواضيع مهمة ومحتوى موضوعها يمكن جمعه السورة تنتقل بسلاسة من تأسيس العلم والعبادة إلى رصد ظاهرة الطغيان، حيث يرى الإنسان نفسه غنياً فيطغى، وتختتم بالتهديد والوعيد، ثم تعود إلى السجود والتقرب، مما يربط العلم بالعبودية لله وتجاوز طغيان النفس. هذا الانتقال يظهر أن العلم الحقيقي يؤدي إلى الخشية والعبادة، وأن الطغيان هو نتيجة للغفلة عن الله تعالى.^(٥٥)

المطلب الثاني: سورة آل عمران.

تُعدّ سورة آل عمران من السور المدنية التي نزلت في المدينة بعد سورة الأنفال وهي مثنان وثلاثة آلاف آية، وأربعمئة وثمانون كلمة، وأربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرون حرفاً. بعد استقرار المجتمع الإسلامي نسبياً.^(٥٦) وقد جاءت في سياق مواجهة التحديات الفكرية والعسكرية، ولا سيما ما يتعلق بأهل الكتاب، وأحداث غزوة أحد. وامتازت السورة بوحدة موضوعها، إذ تعالج تثبيت العقيدة، والدفاع عنها، وبناء الوعي الجماعي في مواجهة الابتلاء. وقد جاءت السورة بمراحل تدرج في الخطاب ويمكن تحديد بالاتي:

المرحلة الأولى: تثبيت العقيدة ومجادلة أهل الكتاب (١-٦٣)

تفتتح السورة بتقرير وحدانية الله، وتنزيهه، وبيان صدق الوحي، في قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٥٧) ، ثم تنتقل إلى مجادلة أهل الكتاب، ولا سيما النصارى، في شأن عيسى عليه السلام. ويظهر التدرج هنا في الانتقال من تقرير الأصول العقدية إلى الرد على الانحرافات الفكرية، بأسلوب يجمع بين الحجة العقلية والبيان القرآني، مع دعوة إلى الاحتكام إلى الوحي. وهذه المرحلة تمثل حماية البناء العقدي للأمة من الشبهات الخارجية. وقد نبه المفسرون على هذه المرحلة التي جمعت التوحيد وأن القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية وأعظمها، وبيان فضل الإسلام على النصرانية.^(٥٨) فبينوا المراد من هذه الآيات المتقدمة بقولهم: "المراد منه أنه تعالى لم يبعث نبياً قط إلا بالدعاء إلى توحيدته والإيمان به، وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان، وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان. فالقرآن مصدق لتلك الكتب في كل ذلك"^(٥٩)

المرحلة الثانية: بناء الجماعة المؤمنة وتحذيرها من الموالاة

ينتقل الخطاب إلى توجيه الأمة المسلمة في علاقتها بأهل الكتاب، مع التحذير من موالاتهم والانخداع بمكرهم، وبيان صفات المؤمنين الصادقين. وقد امتدت الآيات بهذا الجانب من (٦٤-١٢٠) وابتدأت من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٦٠) ويشير المفسرين على هذا الوجه من الخطاب القرآني: "فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلم بإسلامه، إخباراً بيقينه وشكراً لنعمة ربه."^(٦١)

المرحلة الثالثة: ما حملته السورة من التمثيل البلاغي في الاعتصام بالله تعالى والجماعة:

كما تتضمن هذه المرحلة دعوة إلى الاعتصام بحبل الله، والوحدة، والصبر، والثبات، في قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾^(٦٢)، وهو انتقال من الجدل الخارجي إلى بناء الصف الداخلي للأمة. وهذه المرحلة تمثل التحصين الداخلي بعد المواجهة الفكرية، وقد جاء لبيان هذه الصورة بهذه الآية القرآنية الداعية إلى الاعتصام ونبه على هذا الخطاب القرآني الكريم ابن عاشور ببيانه هذا المشهر القرآني العظيم بقوله: "والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفاهم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمسك جماعة بحبل ألقى إليهم من منقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل. وقوله: (جميعاً) حال وهو الذي رجح إرادة التمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها، ويحصل في ضمن ذلك أمر كل واحد بالتمسك بهذا الدين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هاتاه الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعاني"^(٦٣) وخلاصة الدراسة في سورة آل عمران يمكن القول، يُعدّ هذا التدرج في بناء سورة آل عمران مظهرًا من مظاهر الإعجاز البياني، من جهة إحكام النظم وترابط الموضوعات، حيث جاء انتقال الخطاب من تثبيت العقيدة إلى تحصين الجماعة، ثم إلى تفسير الابتلاء، في نسق متكامل يراعي واقع الأمة ويحقق مقاصد الهداية. ويتعزّز هذا المعنى بما أشار إليه قوله تعالى في موطناً آخر ليوضح فيما تناولته سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٦٤)، أي الهداية إلى أصول ما صلح به حال الأمم السابقة من كليات الشرائع ومقاصدها، بما يدل على وحدة الغاية في التشريع الإلهي. وقد نبّه الفخر الرازي إلى هذا المعنى بقوله: "فإن الشرائع والتكاليف وإن كانت مختلفة في نفسها، إلا أنها متفقة في باب المصالح"^(٦٥)، وهو ما يؤكد أن التدرج في الخطاب القرآني ليس مجرد ترتيب بياني، بل هو بناء مقصود يحقّق مصالح العباد في ضوء سنن الهداية الربانية.^(٦٦)

الذاتة

تم بحمد الله ورعايته إتمام هذا البحث التي تم دراسته، ويمكن أن نضع بعض النقاط المهمة لبيان أهم النتائج التي يمكن حصرها بالنقاط الآتية

- ١- الإعجاز البياني في الخطاب المكي ليس مجرد بلاغة لغوية، بل أداة منهجية لتوجيه الفكر والعاطفة لدى المخاطب.
- ٢- التدرج في التنزيل المرحلي يظهر بوضوح كيف كان القرآن يراعي النفس البشرية ويهيئها لتلقي الرسالة تدريجياً.
- ٣- دور التحدّي في الخطاب المكي كان محرّكاً رئيسياً للتدرج، مما يعكس حكمة التدرج في توجيه المخاطب.
- ٤- النماذج التطبيقية من السور المكية أثبتت كيف يرتبط الأسلوب البلاغي بالهدف العقدي والتربوي والنفسي.
- ٥- يتجلّى الإعجاز البياني في سورة آل عمران من خلال التدرج المنهجي في الخطاب، حيث انتقل من تثبيت العقيدة ومجادلة أهل الكتاب إلى توجيه الأمة وبناء وعيها، في نسق مترابط يراعي تطوّر الواقع الدعوي.
- ٦- يعكس الخطاب المدني في السورة بناءً متكاملًا للأمة يجمع بين حماية العقيدة من الشبهات الخارجية، والتحصين الداخلي عبر الدعوة إلى الوحدة والاعتصام، مما يدل على شمولية التوجيه القرآني.
- ٧- يكشف التدرج في السورة عن قصديّة تشريعية وهداية ربانية، إذ إن تنوع الخطاب وترتيبه لا يأتي عفواً، بل يهدف إلى تحقيق مصالح العباد وفق سنن الهداية، في انسجام مع وحدة مقاصد الشرائع الإلهية.

هذه أهم النتائج التي تم حصرها خلال هذه الدراسة العلمية التي أسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه وسلم

المصادر والمراجع القرآن الكريم

- ١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي - تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٢- ابن عاشور، محمد الطيب - التحرير والتنوير، تونس، دار تونس، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٣- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، محمد بن عبد الرحمن - دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق محمود شاکر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة - دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤- أبو بكر الباقلائي، محمد بن الطيب - إعجاز القرآن، المحقق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

- ٥- أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٦- أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٧- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي المعروف بالخطابي - بيان إعجاز القرآن، المحقق محمد خلف الله، د. محمد زغول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
- ٨- أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٩- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠- عبد المجيد الزندانى - تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١١- أبي عبد الرحمن السلفي المقدسي، هشام بن فهمي بن موسى العارف، التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٢- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٣- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- ١٤- الخليل بن أحمد الفراهيدي - العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
- ١٥- القاسمي محمد جمال الدين - محاسن التأويل. لمحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ١٦- محمد عبد الله دراز - النبأ العظيم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٧- محمد بكر إسماعيل - دراسات في علوم القرآن، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨- محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ١٩- الزرقاني محمد عبد العظيم - مناهل في علوم القرآن. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة
- ٢٠- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين - الإتيان في علوم القرآن. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢١- صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م.
- ٢٢- د. الشريف مرزوق - دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم، مجلة الشهاب، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، المجلد ٨، العدد ٢، ٢٠٢٢م.
- ٢٣- محمد بن محمد الحسيني الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة محققين، دار الهداية.

هوامش البحث

(١) ومن أهم ما جاء من معاني (العجز بمعنى مؤخرة الشئ، ويأتي العجز بمعنى المرض. ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٨٨٣/٣، مادة عجز.

(٢) الخليل، العين: ٢٥٦/١، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢٣٣/٤. مادة عجز.

(٣) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: ٢١٥/١٥. مادة عجز.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ٨٣.

- (٥) الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ١/١٤٩.
- (٦) عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٤.
- (٧) ينظر: د. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم،: ١٢٦-١٢٧.
- (٨) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال: ٦/٧٧ مادة درج. وينظر: تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: ٣٣٩/١٠.
- (٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م: ٣١٣/١ مادة درج.
- (١٠) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م: ٢/٢٧٥ مادة درج.
- (١١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: ٢/٢٦٨.
- (١٢) ينظر: المصدر نفسه.
- (١٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م: ١/٢٢٨. والأتيقان في علوم القرآن، للسيوطي: ١/١٤٦-١٤٨.
- (١٤) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي: ٣/١١٩٩.
- (١٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ: ٢٣١/١٢.
- (١٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني: ١/٥٥.
- (١٧) ينظر: تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم: ٦/٣٣٨٣.
- (١٨) التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، إبراهيم بن عبد الله المطلق، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ: ١٧.
- (١٩) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغزنطاي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفا، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م: ٣/٢٤٠.
- (٢٠) ينظر: الزرقاني، مناهل في علوم القرآن: ٢/١٨٩، و د. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم: ١٢٩.
- (٢١) الإمام الخطابي: وهو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من أهل بستان (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له مؤلفات كثيرة أهمها: (معالم السنن - ط) مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن - ط) و (إصلاح غلط المحدثين - ط) و (شرح البخاري - خ) توفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: الزركلي، الاعلام: ٢/٢٧٣.
- (٢٢) ابو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ٢٧-٢٨، و ينظر: الزرقاني، مناهل في علوم القرآن: ٢/١٨٩.
- (٢٣) ينظر: د. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم: ١٣٠.

(٢٤) الإمام الباقلائي: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجّهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من أهم مؤلفاته (إعجاز القرآن - ط) و(الإنصاف - ط) و(مناقب الأئمة - خ) و(دقائق الكلام). توفي سنة ٤٠٣هـ. ينظر: الزركلي، الاعلام، ١٧٥/٦-١٧٦.

(٢٥) الباقلائي، إعجاز القرآن للباقلاني: ٦

(٢٦) ينظر: الباقلائي، إعجاز القرآن، للباقلاني: ٥-٦، ود. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم: ١٣١

(٢٧) الإمام الجرجاني: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. من أهل جرجان، ومن أهم مؤلفاته: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، توفي سنة ٤٧١هـ. ينظر: الزركلي، الاعلام: ٤٨/٤-٤٩

(٢٨) الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١/ ٣٨

(٢٩) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١/ ٣٨، ود. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم: ١٣١

(٣٠) دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: ١٠٨

(٣١) ينظر: المصدر نفسه.

(٣٢) ينظر: القلموني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ١/ ١٦١.

(٣٣) ينظر: د. الشريف مرزوق، دراسة بيانية في أنواع الخطاب في القرآن الكريم: ١٢٦-١٣٠

(٣٤) ينظر: القلموني، تفسير القرآن الحكيم: ١/ ١٦٠-١٦١، ودراز، النبأ العظيم: ٨٩.

(٣٥) سورة هود الآية/ ١٣

(٣٦) سورة البقرة الآية/ ٢٣

(٣٧) د. هادي حسن حمودي، معاني القرآن الكريم حسب تسلسل النزول: ٥/ ٢١٤

(٣٨) النبأ العظيم، دراز: ١/ ١١٣، وينظر: معاني القرآن الكريم حسب تسلسل النزول، د. هادي حسن حمودي، ٥/ ٢١٤

(٣٩) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٥٢.

(٤٠) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)،

المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة الاولى

، سنة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ١/ ٥١٤

(٤١) روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار

الفكر - بيروت، الطبعة الاولى: ١٠/ ٤٧١.

(٤٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٣٢/ ٢١٧، وموسوعة معاني القرآن الكريم، د. هادي حمودي: ١٠٩

(٤٣) التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، إعداد: أبي عبد الرحمن السلفي المقدسي، هشام بن فهمي بن

موسى العارف، صفر ١٤٢٤هـ: ١-٢

(٤٤) سورة العلق الآية: ٢

(٤٥) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٣٢/ ١٩-٢١، والتحرير والتنوير، لابن عاشور: ٣٠/ ٤٤٣

(٤٦) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى

فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحقة ١٤٢٦هـ -

٢٠٠٥م: ٩٢-٩٧، والإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، الناشر: مكتبة وهبة، جمهورية مصر العربية - القاهرة: ١٢١-١٢٣.

- (٤٧) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ: ٥/٥٧٠، وموسوعة معاني القرآن الكريم، د. هادي حمودي: ١٠٩
- (٤٨) سورة العلق الآية: ٦
- (٤٩) سورة العلق الآية: ٨
- (٥٠) ينظر: سورة العلق دراسة بلاغية، د. احمد فتحي: ١٢٠.
- (٥١) سورة العلق الآية: ٩-١٢
- (٥٢) ينظر: التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، أبي عبد الرحمن المقدسي، وهشام بن فهمي: ١-٢
- (٥٣) سورة العلق الآيات: ١٣-١٩
- (٥٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٣٢/٢١٧. وسورة العلق دراسة بلاغية، د. احمد فتحي: ١٢٠.
- (٥٥) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ: ٩/٥٠٧-٥٠٩
- (٥٦) ينظر: الكشاف، للزمخشري: ١/٣٣٥، وبيان المعاني، عبد القادر ملاحوش: ٥/٣١٥.
- (٥٧) سورة ال عمران الآية: ٢
- (٥٨) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٣/١٤٦.
- (٥٩) محاسن التأويل، للقاسمي: ٢/٢٥٤، وينظر: موسوعة معاني القرآن الكريم حسب تسلسل النزول، د. هادي حمودي: ٥/٤١٤ وما بعدها
- (٦٠) سورة ال عمران الآية: ٦٤
- (٦١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: ١٣٣
- (٦٢) سورة ال عمران الآية: ١٠٣
- (٦٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٤/٣١.
- (٦٤) سورة النساء الآية: ٢٦
- (٦٥) مفاتيح الغيب، للرازي: ١٠/٥٤
- (٦٦) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٥/٢٠